مَبْدَأ اَلتَّأَدُّبِ
فِي اَلْكِنَايَةِ اَلْقُرْآنِيَّةِ قراءة تَدَاوُلِيَّةً

أ.م. د أَحْمَد غَانِم عَبْد اَلْحَمْزَة جَامِعَةُ اَلْمُثَنَّى/ كُلِّيَّةُ اَلتَّرْبِيَةِ لِلْعُلُومِ اَلْإِنْسَانِيَّةِ
ahmed.ganim@mu.edu.iq

اَلْخُلَاصَةُ:

يَسْــعَى اَلْبَحْثُ لِلْمُقَارَبَةِ بَيْنَ حَقْلَيْنِ مَعرفيّنِ هُمَا اَللِّسَــانِيَّات اَلتَّدَاوُلِيَّة لَاسِيَّمَا مَبَادِئُ اَلْخِطَابِ، وَالْأَسَالِيب اَلْبَلَاغِيَّة خَاصَّةً اَلْكِنَايَة اَلْقُرْآنِيَّة؛ لِلْوُقُوفِ عَلَى أَهَمِّ نِقَاطِ اَلتَّلَاقِي وَالِاشْتِرَاكِ بَيْنَ اَلْعلمينِ، فَقَدْ جَاءَ اَلْبَحْثُ على محورين بَعْدَ اَلْمُقَدِّمَةِ اَلَّتِي وَقَفْنَا فِيهَا عَلَى تَعْرِيفٍ مُوجَزٍ لِلْبَلَاغَــةِ وَالتَّدَاوُلِيَّةِ، ثُمَّ اَلْمِحْوَر اَلْأَوَّلِ اَلَّذِي تَضَمَّنَ مَبْــدَأَ اَلتَّأَدُّبِ وَالنَّقْد اَلَّذِي وَجَّهَهُ اَلْعُلَمَاءُ لَــهُ، وَأَهَمّ اَلْمَبَادِئِ اَلَّتِي ذَكَرَهَا اَللِّسَــانِيُّونَ، بَعْد هَذا اَلْمَبْدَأ، وَالْمِحْوَر اَلثَّانِي اَلَّذِي قَارَبَنَــا فِيهِ بَيْنَ اَلْكِنَايَةِ اَلْقُرْآنِيَّةِ وَمَبَادِئ اَلْخِطَابِ فِي اَلدَّرْسِ اَللِّسَانِيِّ، وَقِرَاءَةُ اَلنُّصُوصِ قِرَاءَةً تَدَاوُلِيَّةً لِلْوُصُولِ إِلَى أَهَمِّ اَلنَّتَائِجِ، بِالرُّجُوعِ إِلَى أَهَمِّ اَلْمَصَادِرِ اَللِّسَــانِيَّةِ، وَكتب اَلتَّفْسِير وَالْبَلَاغَة، وَبِذَلِكَ يَنْتَمِي هَذَا اَلْبَحْث إِلَى مَشْرُوعٍ لِسَانِي حَدِيث هُوَ لَسَانْيَات اَلتُّرَاثِ اَلَّذِي يَهْدِفُ إِلَى مُقَارَبَةِ اَلتُّرَاثِ اَللُّغَوِيِّ اَلْعَرَبِيِّ مَعَ اَلنَّظَرِيَّاتِ اَللِّسَانِيَّةِ اَلْحَدِيثَةِ.

اَلْكَلِمَات اَلْمِفْتَاحِيَّةِ: اَلتَّأَدُّبُ – اَلْكِنَايَةُ – اَلتَّدَاوُلِيَّةُ.

Conclusion:

This research seeks to approach the two defined circles, which are pragmatic linguistics, especially the principles of discourse. And the rhetorical methods, especially the Qur'anic metaphor, in order to find out the most important points of convergence and participation between the two scholars. After this principle, and the second axis in which we approached the Qur'anic metaphor and the principles of discourse in the linguistic lesson, and reading the texts as a pragmatic reading in order to reach the most important results, by referring to the most important linguistic sources, and books of interpretation and rhetoric, and thus this research belongs to a linguistic project. Hadith is the linguistics of heritage that aims to approach the Arabic linguistic heritage with modern linguistic theories.

Keywords: (Politeness, Metonymy ,Pragmatics)

تَوْطِئَة:

تُعَــد اَلْبَلَاغَةُ مِنْ اَلْعُلُــومِ اَلتِي تَسْــعَى إِلَى تَهْذِيبِ اَلْخِطَــابِ، وَتَحْقِيق اَلْغَرَضِ اَلْمَطْلُوبِ مِنْــهُ بِأَبْلَغِ اَلْأَلْفَاظِ، وَأَجْمَل اَلتَّرَاكِيبِ، وَهِيَ اَلصُّورَةُ اَلحَقِيقِيَّةُ اَلتِي تُعَبِّرُ عَنْ اَلثَّقَافَةِ اَللُّغَوِيَّةِ اَلَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا اَلْعَرَبُ، وَالْأَسَــالِيب اَلَّتِــي يُوَظِّفُونَهَا فِي خِطَابَاتِهِم، وَهُمْ يُرَاعُون طَرَفَي اَلْخِطَابِ، فهي «بُلُــوغُ اَلْمُتَكَلِّمِ فِي تَأْدِيَةِ اَلْمَعَانِي حَدًّا لَهُ اِخْتِصَاصُ بَتُوفِيَّة خَوَاصَّ اَلتَّرَاكِيبِ حَقَّهَا وَإِيرَادُ أَنْوَاعِ اَلتَّشْــبِيهِ وَالْمَجَازِ وَالْكِنَايَةِ عَلَى وَجْهِهَا» (الســكاكي، 1987: 415)، وهــي «مُطَابَقَة اَلْــكَلَامِ لِمُقْتَضَى اَلْحَالِ مَــعَ فَصَاحَتِهِ» (القزويني: 9)، وهي «كُلُّ مَا تبلغُ بِهِ اَلْمَعْنَى قَلْبَ اَلسَّــامِعِ فَتمَكّنهُ فِي نَفْسِهِ كَتَمَكُّنِهِ فِي نَفْسِكَ مَعَ صُورَةٍ مَقْبُولَةٍ وَمَعْرِضِ حُسْنٍ» (الصناعتين: 10).

وَيشْــتَرَطُ أَبُو هِلَال اَلْعَسْكَرِي (ت 395 هـ) فِي اَلْبَلَاغَةِ أَنْ يَكُونَ اَلْمَعْنَى وَاضِحًا

وَاللَّفْظُ مَقْبُولاً (الصناعتين، 10)، وَغَايَةُ اَلْبَلَاغَةِ اَلرَّئِيسَـةِ هِيَ اَلْكَلَامُ لَا اَلْكِتَابَة؛ أَي لُغَة اَلْخِطَابِ لَا لُغَة اَلْكِتَابَةِ، وَهِيَ وَسِـيلَةُ إِقْنَاعٍ تَسْعَى لِإِيصَالِ اَلرِّسَالَةِ إِلَى اَلْمُتَلَقِّي، وَهَذِهِ اَلتَّعْرِيفَاتُ وَالشُّرُوطُ اَلتِي ذَكَرَهَا اَلْبَلَاغِيُّونَ تُشِيرُ إِلَى عَلَاقَةٍ وَثِيقَةٍ بَيْنَ اَلْبَلَاغَةِ وَالتَّدَاوُلِيَّةِ فَهما يُعْنِيَانِ بِالْعَمَلِيَّةِ اَلتَّوَاصُلِيَّـةِ، وَطَرَفَيْهَا اَلْمُخَاطَبِ، وَالْمُخَاطِبِ، وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ اَلتَّدَاوليون اَلذِين عَرَّفُوا اَلتَّدَاوُلِيَّةَ بِأَنَّهَا: «دِرَاسَـةُ اَللُّغَةِ فِي اَلِاسْتِعْمَالِ، أَوْ فِي اَلتَّوَاصُلِ» (نحلـة، 2011: 14)، وهي «إِيجَادُ اَلْقَوَانِينِ اَلكُلِّيَّةِ لِلاسْـتِعْمَالِ اَللُّغَوِيِّ، وَالتَّعَرُّفُ عَلَى اَلْقُدُرَاتِ اَلْإِنْسَانِيَّةِ لِلتَّوَاصُلِ اَللُّغَوِيِّ، وَتَصِيرُ اَلتَّدَاوُلِيَّةُ مِنْ ثَمَّ جَدِيرَة بِأَنْ تُعْرَّف بِأَنَّهَا عِلْمُ اِسْتِعْمَالِ اَللُّغَةِ، وَقَدْ نَقُولُ فِي تَعْرِيفِهَا: بِأَنَّهَا نَسَقٌ مَعْرِفِيٌّ اِسْتِدْلَالِيٌّ عَامٌ يُعَالِجُ اَلْمَلْفُوظَاتِ ضِمْنَ سِيَاقَاتِهَا اَلتَّلفظيَّة، وَالْخِطَابَات ضِمْنَ أَحْوَالِهَا اَلتَّخَاطُبِيَّةِ» (مجموعة باحثين، 2011: 32).

وَخلَاصَةُ اَلْقَوْلِ يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ اَلْبَلَاغَةَ وَالتَّدَاوُلِيَّةَ عِلْمَانِ يشْـتَرِكَانِ بِعَنَاصِرٍ عِدَّةً، مِنْهَا اَلْمُخَاطَب وَالْمُخَاطِب وَالسِّـيَاق، وَاللُّغَة فِي اَلِاسْتِعْمَالِ، وَتُعَدُ مَبَاحِثُ اَلتَّدَاوُلِيَّةِ لَا سِـيَّمَا مَبَادِئُ اَلْخِطَابِ مِنْ أَهَمِّ اَلنَّظَرِيَّاتِ اَلتِي تُسَاعِدُ عَلَى قِرَاءَةِ اَلنُّصُوصِ اَلتُّرَاثِيَّةِ اَلْبَلَاغِيَّةِ، وَاسْتِكْشَافِ اَلْعَلَاقَةِ بَيْنَ اَلْفِكْرِ اَلْعَرَبِيِّ اَلْقَدِيمِ وَالنَّظَرِيَّاتِ اَللِّسَانِيَّةِ اَلْحَدِيثَةِ.

اَلْمِحْوَرُ اَلْأَوَّلُ: مَبْدَأُ اَلتَّأَدُّبِ فِي اَلدِّرَاسَاتِ اَلتَّدَاوُلِيَّةِ

يُعَدّ مَبْدَأُ اَلتَّـأَدُّبِ مِنْ اَلْمَبَادِئِ اَلتَّدَاوُلِيَّةِ اَلَّتِي لَهَا أَثَرٌ كَبِـيرٌ فِي اَلْعَمَلِيَّةِ اَلتَّوَاصُلِيَّةِ، وَتَزْيِين اَلْخِطَابِ بِأَحْسَـنِ اَلْأَلْفَاظِ وَأَجْزَلِهَا، وبِأُسْـلُوبٍ مُهَذَّبٍ، وَهُوَ فَنٌّ مِنْ فُنُونِ اِسْتِرَاتِيجِيَّاتِ اَلْخِطَابِ، وَيُعَدُّ اَلْمَبْدَأُ اَلثَّانِي اَلَّذِي يَرْجِعُ إِلَى «رُوبِين لَاكُوف» فِي مَقَالَتِهَا «مَنْطِـق اَلتَّأَدُّبِ «اَلَّتِي نَقَدَتْ فِيهَـا اَلْبَاحِثِينَ؛ لِوُقُوفِهِم عَلَى اَلشَّـكْلِ اَللُّغَوِيِّ وَعَدَّهُ مِعْيَارًا رَئِيسًا لِلْحُكْمِ عَلَى صِحَّةِ اَلْجُمَلِ وَقَبُولِهَا (الشهري، 2004، ينظر: 97).

ويَـرَى بَعْضُ اَلْبَاحِثِينَ أَنَّ «رُوبِين لَاكُوف» بَـدَأَتْ عَمَلَهَا مِنْ نَظْرَةٍ» غَرَايِس «لِهَذَا

اَلْمَبْدَأ، اَلتِـي تَتَّضِحُ فِي قَوْلِهِ: «هُنَاكَ أَنْوَاع شَـتَّى لِقَوَاعِد أُخْرَى، جَمَالِيَّـةٍ، وَاجْتِمَاعِيَّةٍ، وَأَخْلَاقِيَّـةٍ، مِنْ قَبِيْل «لِتَكُنْ مُؤَدَّبًا» اَلتِي يَتَّبِعُهَا عَـادَةَ اَلْمُتَخَاطِبُونَ فِي أَحَادِيثِهِم، وَاَلتِي تُوَلِّدُ مَعَانِيًا غَيْرَ مُتَعَارَفٍ عَلَيْهَا» (عبد الرحمن، 1998: 239) (ختّام، 2016، ينظر: 105).

وَهَذَا اَلْقَوْلُ لَا يُمْكِنُ أَنْ نُعِدَّهُ دَلِيلاً وَاضِحًا لِعِنَايَةِ غَرَايِس بِمَبْدَأ اَلتَّأَدُّبِ؛ وَذَلِكَ لِأَسْبَابٍ مِنْهَا (ختام، 2016، ينظر: 105):

- أَنَّهُ جَمْعَ مَبْدَأ اَلتَّأَدُّبِ مَعَ اَلْجَانِبِ اَلِاجْتِمَاعِيِّ، وَالْجَانِبِ اَلْجَمَالِيّ، وَلَمْ يُفْرِدْ لَهُ دِرَاسَةً خَاصَّةً.

- أَنَّهُ لَمْ يُوَضِّحْ اَلْقَوَاعِدَ اَلتَّهْذِيبِيَّةَ، وَلَا طَرِيقَةَ تَرْتِيبِهَا مَعَ اَلْقَوَاعِد اَلتَّبْلِيغِيَّةِ.

- أَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى مَسْـأَلَةٍ مُهِمّةٍ، هِيَ أَنَّ اَلْجَانِبَ اَلتَّهْذِيبِيَّ هُوَ اَلْأَسَاسُ فِي خُرُوجِ اَلْخِطَابِ مِنْ اَلْمَعْنَى اَلْحَقِيقِيِّ اَلْمُبَاشِرِ، إِلَى اَلمَعْنَى اَلْمُضْمَر غَيْرِ اَلْمُبَاشِرِ.

وَمِنْ هَذِهِ اَلْأَسْـبَابِ وَغَيْرِهَا بَـدَأَتْ «رُوبِين لَاكُوف» بَحْثَهَـا لِمَظَاهِرِ اَلتَّهْذِيبِ اَلتِي يَتَضَمَّنُهَا اَلْخِطَابُ اَللُّغَوِيُّ بَيْنَ طَـرَفَي اَلْخِطَابِ، اَلتِي تُؤَثِّرُ عَلَيْهَا عَوَامِلُ دَاخِلِيَّةٌ وَخَارِجِيَّةٌ، مِنْهَا اَلسِّـنُّ، وَالْمَكَانَةُ اَلِاجْتِمَاعِيَّةُ، وَمِقْدَارُ اَلْإِكْـرَاهِ، وَالصَّدَاقَةُ، وَطَبِيعَةُ اَلْخِطَابِ... (ختّام، 2016، ينظر: 106).

وَيَقْضِي مَبْـدَأُ اَلتَّهْذِيبِ بِأَنْ يَلْتَزِمَ طَرَفًا اَلْخِطَاب بِضَوَابِط اَلتَّهْذِيبِ مَا لَا يَقِلُّ عَنْ ضَوَابِط اَلتَّبْلِيغِ؛ لِتَحْقِيقِ غَايَةِ اَلْخِطَابِ اَلتي مِنْ أَجْلِهَا دَخَلَا فِيهِ (عبد الرحمن، 1998، ينظر: 241)؛ وَلِذَلِكَ سَـعَتْ «رُوبِنْ لَاكُوفْ» إِلَى تَرْصِيعِ مَبْدَأِ اَلتَّعَاوُنِ اَلذِي يَعْتَمِدُ اَلْجَانِبَ اَلتَّبْلِيغِي فِي تَحْلِيلِ اَلْخِطَابِ بِطَابَعٍ تَهْذِيبِيٍّ يُهَذِّبُ اَلْخِطَابَ وَيُبْعِدُهُ عَنْ اَلْجَانِبِ اَلسَّلْبِيِّ، وَالْأَلْفَاظِ اَلْجَارِحَةِ وَالْعُدْوَانِيَّةِ (ختّام، 2016، ينظر: 107).

وَبَنَتْ «رُوبِن لَاكُوف» مَبْدَأَهَا عَلَى قَاعِدَتَيْنِ رَئِيسَتَيْنِ هَمَّا (ختّام، 2016، ينظر: 107):

- كُنْ وَاضِحًا
- كُنْ مُؤَدَّبًا

اَلْقَاعِدَةُ اَلْأُولَى أَسَاسُهَا مَبْدَأُ اَلتَّعَاوُنِ وَقَوَاعِدُهُ اَلْفَرْعِيَّةِ؛ لِأَنَّ «رُوبِن لَاكُوف» تُؤَكِّد على أنَّ هَذَا اَلْمَبْدَأ يَتَضَمَّنُ إِشَارَاتٍ تَأْدِيبِيَّةً، وَتَرَى أَنَّ مُشَارَكَةَ اَلْأَفْرَادِ فِي اَلتَّفَاعُلَاتِ اَلْكَلَامِيَّةِ يُلْزِمُ طَرَفِي اَلْخِطَاب حَمْلَ خِطَابِهِم نَحْوَ خَاتِمَةٍ إِيجَابِيَّةٍ، وَهَذَا يَفْرِضُ عَلَيْهِمْ تَهْذِيبَهُ بِمَجْمُوعَةٍ مِنْ اَلْآدَابِ اَلتِي ذَكَرَتْهَا اَلْبَاحِثَةُ فِي اَلْقَاعِدَةِ اَلثَّانِيَةِ اَلتِي تَتَكَوَّنُ مِنْ ثَلَاثِ قَوَاعِد فَرْعِيَّةٍ تَتَمَثَّلُ فِي:

- لَا تَفْرِضُ نَفْسَكَ: هَذِهِ اَلْقَاعِدَةُ تُلْزِمُ اَلْمُتَكَلِّمَ اَلِابْتِعَادَ عَنْ كُلِّ اَلْعِبَارَاتِ اَلتِي تُشِيرُ إِلَى كُرْهِ اَلْمُخَاطَبِ، أَوْ إِلْزَامِهِ بِفِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ.
- اَلتَّخْيِيرُ: هَذِهِ اَلْقَاعِدَةُ لَا تَنْفَصِلُ فِي عَمَلِهَا عَنْ اَلْقَاعِدَةِ اَلسَّابِقَةِ، وَتُشِيرُ إِلَى مَجَالٍ رَحِبٍ مِنْ اَلْخِيَارَاتِ، وَالِابْتِعَاد عَنْ حَصْرِ اَلْمُخَاطَبِ فِي لَائِحَةٍ مَحْدُودَةٍ، وَتَتَحَقَّقُ هَذِهِ اَلْقَاعِدَةُ بِاسْتِعْمَالِ عِبَارَاتٍ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ اَلْمُتَكَلِّمَ لَا يَفْرِضُ عَلَى اَلْمُخَاطَبِ أُمُورًا دُونَ أُخْرَى.
- قَاعِدَةُ اَلتَّوَدُّدِ: تفْرِضُ هَذِهِ اَلْقَاعِدَةُ عَلَى اَلْمُتَكَلِّمِ إِظْهَارَ اَلْوِدِّ، وَالِابْتِعَادَ عَنْ اَلْعِبَارَاتِ وَالْجُمَلِ اَلتِي يُنْفِرُ مِنْهَا اَلْمُخَاطَبُ.

مَبْدَأ اَلتَّأَدُّبِ وَآرَاءُ اَلنُّقَّادِ: قَرَأَ اَلْبَاحِثُونَ مَبْدَأَ اَلتَّأَدُّبِ قِرَاءَةً نَقْدِيَّةً وَتَوَصَّلُوا إِلَى أَنَّ(عبد الرحمن، 1998، ينظر: 241–242):

- قَوَاعِدَ هَذَا اَلْمَبْدَأِ مُتَفَاوِتَةٌ مِنْ حَيْث اَلْقُوّة وَالضَّعْف، فَقَاعِدَةُ اَلتَّخْيِيرِ أَقْوَى مِنْ اَلتَّعَفُّفِ، وَقَاعِدَة اَلتَّوَدُّد أَقْوَى مِنْ قَاعِدَةِ اَلتَّخْيِيرِ، وَاسْتِعْمَال بَعْضِهَا قَدْ يُسْقِطُ اَلْعَمَلَ بِالْقَاعِدَةِ اَلْأُخْرَى.

• مَبْدَأ اَلتَّأَدُّبِ لَمْ يَقِفْ عَلَى اَلْوَظِيفَةِ اَلْإِصْلَاحِيَّةِ اَلتِي هِيَ اَلْأَسَاسُ فِيهِ وَلَمْ يُوَضِّحْهَا فِي قَوَاعِده اَلثَّلَاث اَلَّتِي تَفَرَّعَتْ مِنْهُ.

• اِعْتَمَدَ هَذَا اَلْمَبْدَأُ اَلْجَانِبَ اَلتَّجْرِيدِيِّ مِنْ عُنْصُرِ اَلتَّأَدُّبِ وَتَرَكَ اَلْجَانِبَ اَلْعَمَلِي.

وَلِهَذِهِ اَلْأَسْبَابِ وَغَيْرِهَا، سَعَى اَلْبَاحِثُونَ إِلَى مَبَادِئَ أُخْرَى تُكْمِلُ مَا لَمْ يَقِفْ عَلَيْهِ مَبْدَأُ اَلتَّأَدُّبِ، مِنْهَا (الشهري، 2004، ينظر: 103–104):

– **مَبْـدَأُ اَلْوَجْهِ**: هُوَ اَلْمَبْدَأُ اَلتَّدَاوُلِيُّ اَلذِي يَضْبُطُ اَلْخِطَابَ بِوَسَـاطَةِ اَلْقَوَاعِد اَلْكُلِّيَّةِ اَلَّتِي ذَكَرَهَـا اَلْبَاحِثَانِ «بِرَاوْن وِلِيفِنْسُـن» فِي بَحْثِهِمَا اَلْمُشْـتَرَكِ «اَلْكُلِّيَّاتِ فِي اَلِاسْتِعْمَالِ اَللُّغَوِيِّ: ظَاهِرَةُ اَلتَّأَدُّبِ» وَيَرْتَكِزُ هَذَا اَلْمَبْدَأُ عَلَى مَفْهُومِين هَما (عبد الرحمن، 1998، ينظر: 243):

– **قِيمَة اَلْوَجْهِ اَلِاجْتِمَاعِيَّةِ**: وَيَتَّضِحُ هَذَا اَلْمَفْهُومُ بِصِيَانَةِ وَجْهِ اَلْمُخَاطَبِ، وَالِاحْتِرَامِ وَالتَّعَـاوُنِ اَلْمُتَبَادَل بَيْنَ طَرَفَيِ اَلْخِطَابِ، وَهُوَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَوَّلُهُمَا اَلْوَجْهُ اَلدَّافِعُ: وَهُوَ رَغْبَـةُ اَلْمُتَكَلِّمِ فِي أَلَّا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِ اَلْآخَـرُونَ فِي أَفْعَالِهِ، وَالْآخَرُ اَلوَجْهُ اَلْجَالِبُ: وَهُوَ رَغْبَةُ اَلْمُتَكَلِّمِ بِاعْتِرَافِ اَلْآخَرِينَ بِأَفْعَالِهِ.

– **نِسْـبَةُ تَهْدِيدِ اَلْوَجْهِ**: وَهُنَا يَرْبطُ اَلْبَاحِثَانِ بَيْنَ اَلْأَفْعَالِ اَللُّغَوِيَّةِ وَنِسْـبَةِ تَهْدِيدِهَا لِلْوَجْهِ اَلسَلْبِيِّ وَالْإِيجَابِيِّ.

وَقَدْ ذَكَرَ اَلْبَاحِثَانِ لِهَذَا اَلْمَبْدَأِ خَمْسَ اِسْتِرَاتِيجِيَّاتٍ هي (ختّام، 2016، ينظر: 111–113)، (كادة، 2012، ينظر: 135– 136)، (يول، 2010، ينظر: 144–145):

• **اَلْاِسْتِرَاتِيجِيَّة اَلتصَّرِيحَية**: هِيَ اَلَّتِي تَجْعَلُ اَلْمُخَاطِبَ لَا يَبْذُلُ جُهْدًا لِلتَّخْفِيفِ مِنْ قُوَّةِ اَلتَّهْدِيدِ، وَالتَّضَايُقِ وَالْإِحْرَاجِ، وَهَذِهِ اَلْاِسْتِرَاتِيجِيَّةُ شَائِعَةٌ بَيْنَ اَلْأَشْخَاصِ اَلذِينَ يَعْرِفُونَ بَعْضَهُمْ جَيِّدًا، وَلَا يَضَعُونَ بَيْنَهُمْ أَيَّ مَسَافَةٍ اِجْتِمَاعِيَّةٍ.

• **اَلْاِسْتِرَاتِيجِيَّةُ اَلتَّلْمِيحِيَّةُ**: وَفِيهَا يُسْتَعْمَلُ اَلتَّلْمِيحُ بَدَلاً عَنْ اَلتَّصْرِيحِ، وَتَظْهرُ فِيهَا

حُرِّيَّةُ تَأْوِيلِ اَلْخِطَابِ، وَاسْتِلْزَامُ اَلْغَرَض، وَيَكُون اَلسِّيَاقُ فِيهَا هُوَ اَلْأَسَاسَ فِي مَعْرِفَةِ اَلْغَرَضِ اَلْمَطْلُوبِ.

- **اِسْتِرَاتِيجِيَّةُ اَلصَّمْتِ عَنْ اَلتَّعْبِيرِ**: هِيَ اَلتِي يَكُونُ فِيهَا اَلْإِحْجَامُ عَنْ اَلتَّعْبِيرِ أَبْلَغَ مِنْ اَلتَّعْبِيرِ، وَالصَّمْتُ عَنْ اَلْإِفَادَةِ أَفْضَلَ لِلْإِفَادَةِ، وَيَبْتَعِدُ اَلْمُخَاطِبُ عَنْ اَلتَّلَفُّظِ بِخِطَابٍ ذِي صِلَةٍ بِالْغَرَضِ اَلْمَطْلُوبِ.

- **اِسْتِرَاتِيجِيَّةُ اَلتَّأَدُّبِ اَلْإِيجَابِيِّ**: فِيهَا يَسْعَى اَلْمُخَاطِبُ إِلَى اِسْتِعْمَالِ اَلتَّلَطُّفِ بِالتَّعْبِيرِ، وَالْأَلْفَاظِ اَلْوِدِّيَّةِ اَلْمُهَذَّبَةِ.

- **اِسْتِرَاتِيجِيَّةُ اَلتَّأَدُّبِ اَلسَّلْبِيِّ**: فِي هَذِهِ اَلْاِسْتِرَاتِيجِيَّةِ يَبْتَعِدُ اَلْخِطَابُ عَنْ اَلْمُبَالَغَةِ فِي اَلْوِدِّ وَالتَّأَدُّبِ.

نقد مبدأ الوجه:

وَجَّهَ بَعْضُ اَللِّسَانِيِّينَ نَقْدًا لِمَبْدَأ اَلْوَجْهِ عَلَى اَلرَّغْمِ مِنْ اَلْجُهُودِ اَلتِي سَعَى بِهَا اَلْبَاحِثَانِ «بِرَاوْن وِلِيفِنْسُن» لِتَعْدِيلِ بَعْضِ مَبَادِئِ مَبْدَأِ اَلتَّأَدُّبِ، وَيَرْجَعُ هَذَا اَلنَّقْدُ إِلَى (عبد الرحمن، 1998، ينظر: 444-445):

- أَنَّ هَذَا اَلْمَبْدَأَ يَجْعَلُ اَلتَّهْدِيدَ اَلسِّمَةَ اَلْجَوْهَرِيَّةَ وَالْأَسَاسِيَّةَ لِلْأَقْوَالِ.

- أَنَّ لُغَةَ اَلْخِطَابِ اَلْمُؤَدَّبَةَ وَالْمُهَذَّبَةَ قَدْ لَا تَكُونُ مُؤَشِّرًا صَادِقًا لِمَا يُضْمِرُهُ اَلْمُخَاطِبُ اِتِّجَاهَ اَلْمُخَاطَبِ، وَقد يَؤُولُ إِلَى اَلتَّعَارُضِ وَالْخِدَاعِ بَيْنَ اَلظَّاهِرِ وَالْمُضْمَرِ.

- أَنَّ مَبْدَأَ اَلْوَجْهِ لَمْ يَشْتَغِلْ بِالْبُعْدِ اَلتَّقْرِيبِيِّ مِنْ اَلْعَمَلِ اَلتَّهْذِيبِيِّ عَلَى اَلرَّغْمِ مِنْ عِنَايَتِهِ بِالْجَانِبِ اَلْعَمَلِيِّ.

- **مبدأ التأدب الأقصى** (ختّام، 2016، ينظر: 114-117)، (مزيد، 2010، ينظر: 57-60):

هُوَ اَلْمَبْدَأُ اَلتَّدَاوُلِيُّ اَلرَّابِعُ اَلذِي جَاءَ عِنْد «جِيُو فِرَيْ ليتش» ويَرَى أَنَّ اَلتَّأَدُّبَ يَشْمَلُ أَصْنَافًا مُخْتَلِفَةً مِنْ اَلسُّلُوكِ، اَلتِي تُهَذِّبُ اَلْخِطَاب وَتَجْلِبُ أَرْقَى اَلْمَنَافِعِ لَهُ، وَصَاغَ مبدأه بِصُورَتَــيْنِ الأولى: قَلِّلْ مِنْ اَلْكَلَامِ غَيْرِ اَلْمُؤَدَّبِ، وَالثانية: اِسْــتَعْمِلْ اَلْكَلَامَ اَلْمُؤَدَّبَ، وَمِنْ أَهَمِّ الْقَوَاعِد التِي يَتَضَمَّنُهَا هَذَا الْمَبْدَأُ:

قَاعِدَةُ اللَّبَاقَةِ: وَلَهَا صُورَتَانِ اَلْأُولَى: قَلِّلْ مِنْ خَسَارَةِ اَلْآخَرِينَ، وَالثَّانِيَةُ: أَكْثِرْ مِنْ رِبْحِ غيرك.

قَاعِدَةُ اَلتَّوَاضُعِ: وَتَظْهَرُ فِي اَلتَّقْلِيلِ مِنْ مَدْحِ اَلذَّاتِ.

قَاعِــدَةُ اَلتَّعَاطُفِ: يَرْفَعُ اَلْمُخَاطِبُ فِيهَا تَعَاطُفَهُ مَــعَ اَلْمُخَاطَبِ، وَيُقَلِّلُ مِنْ اَلنُّفُورِ مِنْهُ.

قَاعِدَةُ اَلسَّخَاءِ: يُقَلِّلُ اَلْمُتَكَلِّمُ فِيهَا مِنْ اَلْفَائِدَةِ اَلشَّخْصِيَّةِ لِلْحَدِّ اَلْأَدْنَى.

قَاعِدَةُ اَلِاسْتِحْسَــانِ: تَقْتَضِي هَــذِهِ اَلْقَاعِــدَةُ أَنْ يُقَلِّلَ اَلْمُخَاطِبُ مِــنْ اِمْتِعَاضِ اَلْمُخَاطَبِ، وَيَسْعَى لِرِضَاهُ.

– **مبدأ التصديق** (عبد الرحمن، 1998، 249–251):

هُــوَ اَلْمَبْدَأُ اَلْخَامِسُ اَلَّذِي صَاغَــهُ «طه عَبْدُ اَلرَّحْمَنْ»؛ لِسَــدِّ اَلنَّقْصِ اَلذِي وَجَدَهُ فِي مَبْدَأِ اَلتَّــأَدُّبِ اَلْأَقْصَى، وَقَدْ صَاغَهُ عَلَى «لَا تَقُلْ لِغَــيْرِكَ قولا لا يُصَدِّقهُ فِعْلُكَ»، وَبَنَــاهُ عَلَى عُنْصُرَيْنِ: أَحَدُهُمَا يَتَعَلَّقُ بِالْجَانِبِ اَلتَّبْلِيغِيِّ مِنْ عَمَلِيَّةِ اَلتَّوَاصُلِ وَهُوَ «نَقْلُ اَلْقَوْلِ»، وَتَتَفَرَّعُ مِنْهُ قَوَاعِد هِيَ:

أ –يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْكَلَامِ دَاعٍ يَدْعُو إِلَيْهِ، لِلنَّفْعِ أَوْ دَفْعِ اَلضَّرَرِ.

ب –يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اَلْكَلَامُ فِي مَوْضِعِهِ.

ت –يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اَلْكَلَامُ مُخْتَصَرًا عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ.

ث -يَجِبُ عَلَى اَلْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَخْتَارَ اَلْأَلْفَاظَ اَلتِي يَتَكَلَّمُ بِهَا.

وَالثَّانِي يَتَعَلَّقُ بِالْجَانِبِ اَلتَّهْذِيبِيِّ وَهُوَ «تَطْبِيقُ اَلْقَوْلِ» وَقَوَاعِدُه:

أ -قَاعِدَةُ اَلْقَصْدِ.

ب -قَاعِدَةُ اَلصِّدْقِ.

ت -قَاعِدَةُ اَلْإِخْلَاص

اَلْمِحْوَرُ اَلثَّانِي: اِسْتِرَاتِيجِيَّاتُ اَلْخِطَابِ اَلْقُرْآنِيَ اَلْكِنَايَة أَنْمُوجًا

نَزَلَ اَلْقُرْآنُ اَلْكَرِيمُ بِخِطَابٍ لُغَوِيٍّ بَلِيغٍ يُرَاعِي اَلْمُخَاطَب، وَيَسْتَعْمِلُ أَسَالِيبَ بَلَاغِيَّةً فَصِيحَةً تَجَلَّتْ فِيهَا أَهَمُّ صُوَرِ إِعْجَازِهِ، وَهَذَا اَلْخِطَابُ لَا بُدَّ مِنْ دِرَاسَةِ تَرَاكِيبِهِ وَمَعْرِفَةِ مَعَانِي أَلْفَاظِهِ، وَالْوُقُوفِ عَلَى أَهَمِّ فُنُونِهِ اَلْبَلَاغِيَّةِ، فَهُوَ نَصٌّ يَنْمَازُ عَنْ بَقِيَّةِ اَلنُّصُوصِ بـ «بِفَرَادَة تَمَاسُكِهِ وَكَيْفِيَّةِ هَذَا اَلتَّمَاسُكِ، فَهُوَ نَصٌّ يُقَدِّمُ نَفْسَهُ بِوَصْفِهِ نُصُوصًا مُتَدَاخِلَةً فِي إِطَارِ اَلسُّورَةِ اَلْوَاحِدَةِ، كَمَا يُقَدِّمُ نَفْسَهُ بِوَصْفِهِ نُصُوصًا مُتَدَاخِلَةً فِي إِطَارِ اَلسُّورِ اَلْمُتَعَدِّدَةِ» (عياشي، 2007: 120).

ويرى الدكتور عبد السلام المسدي «أَنَّ اَلنَّصَّ اَلْقُرْآنِيَّ رِسَالَةٌ لِسَانِيَّةٌ فِي حَدِّ ذَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ أَيْضًا شَهَادَة عَنْ رِسَالَةٍ عَقَائِدِيَّةٍ، فَلَعَلَّهُ كَانَ مِنْ اَلْفُرُوضِ أَنْ يَتَحَدَّدَ نَمَط قِرَاءَتِهِ مُنْذُ نُزُولِهِ؛ أَيْ مُنْذُ حُلُولِهِ مَحَلَّ اَلْمَوْجُودِ اَللِّسَانِيِّ عَلَى لِسَانِ بَاثِهِ اَلْأَوَّل، لَا سِيَّمَا أَنَّهُ نَصٌّ خُلُوّ مِنْ اَلطَّلَاسِمِ أَوْ اَلْمُلْغَزَات، فَلَمْ يَكُنْ مُبْهَمًا وَلَا مُسْتَعْصِيًا، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ تَحَدِّيًا وَإِعْجَازًا لِحَضَارَةِ اَلْبَيَانِ بِمَنْطُوقِ اَلْبَيَانِ، وَإِذَا بِالتَّفْسِيرِ عِلْم شَرْعِيٍّ يَتَجَدَّدُ لَا بِالِاحْتِمَالِ وَالْإِمْكَانِ، بَلْ بِالِاقْتِضَابِ وَالْوُجُوبِ، حَتَّى خَشِيَ بَعْضُ عُلَمَاءِ اَلدِّينِ عَلَى مَرِّ اَلزَّمَانِ عِقَابَ اَلْآخِرَةِ إِنَّ هُمْ لَمْ يُتَوِّجُوا حَيَاتَهُمْ بِتَفْسِيرِ اَلْقُرْآنِ» (المسدي، 1986: 13).

وَمِنْ اَلنُّصُوصِ اَلَّتِي تُثْبِتُ اَلْأَبْعَاد اَلتَّدَاوُلِيَّة لِلْخِطَابِ اَلْقُرْآنِيِّ مَا نَجِدُهُ عِنْد اَلطَّبَرِي

(ت310هـ) بقوله: «لَا يُخَاطِبُ جُلّ ذِكْرُه أَحَدًا مِنْ خلقِهِ إِلَّا بِمَا يَفْهَمُهُ اَلْمُخَاطَبُ، وَلَا يُرْسِلُ إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ رَسُولاً بِرِسَالَةٍ إِلَّا بِلِسَانٍ وَبَيَانٍ يَفْهَمُهُ اَلْمُرْسَلُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ اَلْمُخَاطَبَ وَالْمُرْسَلَ إِلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَا خُوطِبَ بِهِ وَأُرْسَلَ بِهِ إِلَيْهِ، فَحَالُهُ – قَبْل اَلْخِطَابِ وَقَبْل مَجِيءِ اَلرِّسَالَةِ إِلَيْهِ وَبَعْده – سَوَاءٌ، إِذْ لَمْ يَفده اَلْخِطَابُ وَالرِّسَالَةُ شَيْئًا كَانَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ جَاهِلاً، وَاَللهُ جُلَّ ذِكْرُه يَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُخَاطِبَ خِطَابًا أَوْ يُرْسِلَ رِسَالَةً لَا تُوجِبُ فَائِدَةً لِمَنْ خُوطِبَ أَوْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ فِينَا مِنْ فِعْلِ أَهْلِ اَلنَّقْصِ وَالْعَبَثِ، وَاَللهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ مُتَعَالٍ» (الطبري، 1422ه: 1/ 11)، (عبيد 2009، ينظر: 22).

وَيَرَى اَلدُّكْتُورُ مُؤَيِّد عُبَيْد أَنَّ اَلْخِطَابَ اَلْقُرْآنِيَّ خِطَابٌ مَفْتُوحٌ يَتَنَاوَلُه اَلْبَاحِثُونَ فِي مُخْتَلِفِ اَلْعُصُورِ اَلْمُتَعَاقِبَةِ بِحَسَبِ مَرْجِعِيَّاتِهِم اَلثَّقَافِيَّةِ (عبيد، 2009، ينظر: 23).

وَتُعَدُّ هَذِهِ اَلنُّصُوصُ اَلدَّافِعَ اَلرَّئِيس لِقِرَاءَةِ اَلْخِطَابِ اَلْقُرْآنِيِّ وَمُقَارَبَتِهِ مَعَ اَلنَّظَرِيَّاتِ اَللِّسَانِيَّةِ اَلْحَدِيثَةِ مُقَارَبَةً تَدَاوُلِيَّةً لَاسِيَّمَا مَبْدَأُ اَلتَّأَدُّبِ اَلَّذِي يَظْهَرُ جَلِيًّا فِي اَلْكِنَايَةِ اَلْقُرْآنِيَّةِ اَلتِي تُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ اِسْتِرَاتِيجِيَّاتِ اَلْخِطَابِ اَلْقُرْآنِيِّ، اَلتِي تَنْطَلِقُ مِنْ اَلْمُخَاطِبِ وَغَرَضِهِ مِنْ خِطَابِهِ، وَمَا يَجِبُ أَنْ يَنْمَاز بِهِ اَلْخِطَابُ مِنْ شُرُوطٍ لِيَكُونَ بَلِيغًا وَمُهَذَّبًا؛ لِتَتَّجِه نَحْوَ اَلْمُخَاطَبِ؛ لِأَنَّهُ اَلْأَسَاسُ فِي اَلْخِطَابِ.

وَتُعَدُّ اَلْكِنَايَةُ جَانِبًا مُهِمًّا مِنْ اَلْجَوَانِبِ اَلْبَلَاغِيَّةِ اَلتِي تَحْمِلُ إِشَارَاتٍ تَدَاوُلِيَّةً وَاضِحَةً؛ لِأَنَّ اَلْبَلَاغَةَ اَلْعَرَبِيَّةَ وَالتَّدَاوُلِيَّةَ يَشْتَرِكَانِ بِاللُّغَةِ، فَهِيَ اَلْأَدَاةُ اَلرَّئِيسَةُ فِي مُمَارَسَةِ اَلْفِعْلِ، وقد عرفها البلاغيون بقولهم «الكناية أن يُريد المتكلمُ إثباتَ معنًى من المَعاني، فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ له في اللُّغة، ولكنْ يَجيءُ إلى معنى هو تاليهِ ورِدْفُه في الوجود، فيومئ به إليهِ، ويجعلهُ دليلاً عليه» (الجرجاني، 1991: 66)، وهي: «تَرْكُ اَلتَّصْرِيحِ بِذِكْرِ اَلشَّيْءِ عَلَى مَا ذُكِرَ مَا يَلْزَمُهُ لِيَنْتَقِلَ مِنْ اَلْمَذْكُورِ عَلَى اَلْمَتْرُوكِ كَمَا نَقُولُ فُلَانٌ طَوِيلُ اَلنَّجَّاد لِيَنْتَقِل مِنْهُ عَلَى مَا هُوَ مَلْزُومْ

وَهُوَ طُولُ اَلْقَامَةِ» (السكاكي، 1987: 402).

وبيَّنَ أبو المنصور الثعالبي أغراض الكناية بقوله «فِي اَلْكِنَايَاتِ عَمَّا يَسْتَهْجِنُ ذِكْرهُ وَيَسْتَقْبِحُ نَشْرُه أَوْ يَسْتَحِيَا مِنْ تَسْمِيَتِهِ، أَوْ يَتَطَيَّرُ مِنْهُ، أَوْ يَتَرَفَّعُ وَيُصَانُ عَنْهُ بِأَلْفَاظٍ مَقْبُولَةٍ تُؤَدِّي اَلْمَعْنَى وَتُفْصِحُ عَنْ اَلْمَغْزَى، وَتُحَسِّنُ اَلْقَبِيحَ، وَتُلَطِّفُ اَلْكَثِيفَ، وَتَكْسُوهُ اَلْمَعْرِضَ اَلْأَنِيقَ فِي مُخَاطَبَةِ اَلْمُلُوكِ وَمُكَاتَبَةِ اَلْمُحْتَشِمِينَ، وَمُذَاكَرَةِ أَهْلِ اَلْفَضْلِ، وَمُحَاوَرَةِ ذَوِي اَلْمُرُوءَةِ، فَيَحْصُلُ اَلْمُرَادُ وَيُلَوِّحُ اَلنَّجَاحُ مَعَ اَلْعُدُولِ عَمَّا يَنْبُو عَنْهُ اَلسَّمْعُ وَلَا يَأْنَسُ بِهِ اَلطَّبْعُ إِلَى مَا يَقُومُ مُقَامَهُ وَيَنُوبَ مَنَابَهُ مِنْ كَلَامٍ تَأْذَنُ لَهُ اَلْأُذُنُ وَلَا يَحْجُبُهُ اَلْقَلْبُ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ اَلْبَيَانِ فِي اَلنُّفُوسِ وَخَصَائِصِ اَلْبَلَاغَةِ وَنَتَائِجِ اَلْبَرَاعَةِ وَلِطَائِفِ اَلصِّنَاعَةِ» (الثعالبي: 57).

وَهَـذَا اَلْقَوْلُ يُثْبِتُ أَنَّ اَلْكِنَايَةَ اَلْعَرَبِيَّةَ وَلَا سِيَّمَا اَلْكِنَايَةُ اَلْقُرْآنِيَّةُ هِيَ اَلْأُسْلُوبُ اَلذِي يَسْعَى إِلَى تَهْذِيبِ اَلْخِطَابِ وَالتَّعْبِيرِ عَنْ اَلْمَعَانِي بِأَحْسَنِ اَلْأَلْفَاظِ، وَيبْتَعِدُ عَنْ اَلْأَلْفَاظِ اَلْقَبِيحَةِ وَالْمُسْتَهْجَنَةِ، وَهَذا مَا جَاءَتْ بِهِ مَبَادِئُ اَلتَّدَاوُلِيَّةِ لَاسِيَّمَا مَبْدَأُ اَلتَّأَدُّبِ فِي كُلِّ مَرَاحِلِهِ مِنْ «رُوبِن لَايْكُوف» إِلَى مَا صَاغَهُ طه عَبْدُ اَلرَّحْمَنْ، فالقرآن الكريم دعا بصريح العبارة إلى تهذيب الخطاب بمواضع عدَّة منها، قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ (البقرة: 83)، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوّاً مُبِيناً﴾ (الإسراء: 53)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (الزمر: 18)، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ (فاطر:10).

وَبَعْدَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ اَلصَّرِيحَةِ للكَلَامِ اَلْمُهَذَّبِ وَالْحَسَنِ، تَظْهَرُ فِي اَلْقُرْآنِ اِسْتِرَاتِيجِيَّاتٌ

كَثِيرةٌ، تَبْتَعِدُ عَنْ اَلتَّصْرِيحِ، وَتَحْمِلُ اَلْمَعْنَى لِلْمُخَاطَبِ بِأَلْفَاظٍ مُهَذَّبَةٍ؛ لِتَغْطِيَةِ اَلْمَعَانِي اَلْمُتَفَحَشَة، وَمِنْ هَذِهِ الِاسْتِرَاتِيجِيَّاتُ مَا نَجِدُهُ وَاضِحًا فِي الكِنَايَةِ القُرْآنِيَّةِ التِي تَتَضَمَّنُ كُلَّ اَلْقَوَاعِدِ اَلْمُتَفَرِّعَةِ عَنْ مَبْدَأِ اَلتَّأَدُّبِ فِي مَرَاحِلِهِ كُلِّهَا، وَمِنْهَا:

قاعدة اَلتَّلْمِيحِ:

فِي هَذِهِ اَلْقَاعِدَةِ يَبْتَعِدُ اَلْمُخَاطَبُ عَنْ اَلتَّصْرِيحِ وَيَسْتَعْمِلُ اَلتَّلْمِيحُ، وَتَظْهَرُ حُرِّيَّةُ تَأْوِيلِ اَلْخِطَابِ وَاسْتِلْزَامِ اَلْغَرَضِ، وَيَكُونُ اَلسِّيَاقُ هُوَ اَلْأَسَاسُ فِي اَلْوُصُولِ إِلَى اَلْغَرَضِ اَلْمَطْلُوبِ، وَهَذِهِ اَلْقَاعِدَةُ تُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ مَبَادِئَ اَلتَّدَاوُلِيَّةِ اَلَّتِي تَظْهَرُ بِوُضُوحٍ فِي اَلتَّعْرِيضِ وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ اَلْكِنَايَةِ اَلْقُرْآنِيَّةِ بِاعْتِبَارِ اَلْوَسَائِطِ وَالسِّيَاقِ وقد عرفه البلاغيون بأنَّه: «اَللَّفْظ اَلدَّال عَلَى اَلشَّيْءِ مِنْ طَرِيقِ اَلْمَفْهُومِ، لَا بِالْوَضْعِ اَلْحَقِيقِيِّ وَلَا اَلْمَجَازِيِّ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ لِمَنْ تَتَوَقَّعُ صِلَتَهُ وَمَعْرُوفَهُ بِغَيْرِ طَلَبٍ: وَاَللهِ إِنِّي لَمُحْتَاجٌ وَلَيْسَ فِي يَدِي شَيْء وَأَنَا عِرْيَان وَالْبَرْدُ قَدْ آذَانِي؛ فَإِنَّ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ تَعْرِيض بِالطَّلَبِ، وَلَيْسَ هَذَا اَللَّفْظِ مَوْضُوعًا فِي مُقَابَلَةِ اَلطَّلَبِ، لَا حَقِيقَةً وَلَا مَجَازًا، إِنَّمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ اَلْمَفْهُومِ» (ابن الأثير1420هـ: 2/ 186)، وهو: «كَلَامٌ ظَاهِرٌ فِي مَعْنًى يُقْصدُ بِهِ غَيْر مَعْنَاهُ اَلظَّاهِرِ فَلَا يُفْهَمُ اَلْمُرَادُ إِلَّا بِالْقَرَائِنِ، كَقَوْلِ اَلْمُحْتَاجِ: جِئْتُ لِأُسَلِّم عَلَيْكَ وَأَنْظُرَ وَجْهَكَ اَلْكَرِيمَ» (البقاعي: 3/ 345).

وَالتَّعْرِيضُ يُشِيرُ إِلَى غَرَضِ اَلْمُتَكَلِّمِ مِنْ طَرِيقِ اَلْمَفْهُومِ وَمِنْ عَرْضِ اَلْأَلْفَاظِ؛ أَيْ مِنْ جَانِبِهِ، وَيُلَوِّحُ اَلْمُتَكَلِّمُ لِلْمُتَلَقِّي مَا يُرِيدُهُ مِنْهُ بَعِيدًا عَنْ اَلتَّصْرِيحِ؛ لِذَلِكَ سُمِّيَ اَلتَّعْرِيضُ وَالتَّلْوِيحُ (الزركشي، 1957، ينظر: 2/ 311)، وَمَا جَاءَ فِي تَعْرِيفِ اَلتَّعْرِيضِ عِنْدَ اَلْبَلَاغِيِّينَ اَلْعَرَبِ لَا يَخْتَلِفُ عَمَّا قَالَهُ اَلتَّدَاوليونْ لَا سِيَّمَا مَا جَاءَ عِنْد برَوان وليفنسُون فِي اَلْاِسْتِرَاتِيجِيَّةِ اَلثَّانِيَةِ؛ وَهِيَ اَلِامْتِنَاعُ عَنْ اَلتَّصْرِيحِ وَالِاكْتِفَاءِ بِالتَّلْمِيحِ وَالتَّعْرِيضِ (الزركشي، 1957، ينظر: 2/ 311).

وَقَدْ ذَكَرَ اَلْبَلَاغِيُّونَ أَغْرَاضَ اَلتَّعْرِيضِ، وَهِيَ تَقَارُبُ اَلْقَوَاعِدِ اَلتَّدَاوُلِيَّة لِلخِطَابِ، وَمِنْهَا:

1- **اَلتَّلَطُّف وَالِابْتِعَادِ عَنْ اَلْمُخَاشَنَةِ**، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنقِذُونِ﴾ (يس: 22- 23)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ حَبِيب بْن إِسْرَائِيلَ اَلَّذِي آمَنَ بِرَسُول اَللَّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا اَلْخِطَابُ مُوَجَّهٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يُرِيدُ مُنَاصَحَتَهُم؛ لِيَتَلَطَّفَ بِهِم وَيُدَارِيهم، وَيَبْتَعِد عَنْ اَلْمُخَاشَنَةِ، وَلَقَدْ وَضَعَ قَوْلَهُ: «وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ اَلَّذِي فَطَرَنِي» مَكَان قَوْلِهِ: «وَمَا لَكُمْ لَا تَعْبُدُونَ اَلَّذِي فَطَرَكُمْ»، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ اَلْقَوْلَ مُوَجَّهٌ لِقَوْمِهِ قَوْلَهُ وَ«إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (الزمخشري، 1407هـ، ينظر: 4/ 10)، ومثله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الأحزاب: 1)، وَاَلْخِطَاب فِي هَذِهِ اَلْآيَةِ اَلْكَرِيمَةِ لِلنَّبِيِّ وَيقصد اَلْمُؤْمِنين؛ لِأَنَّهُ - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ تَقِيًّا وَحَاشَاهُ مِنْ طَاعَةِ اَلْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ (الزمخشري، 1407هـ، ينظر: 2/ 242).

2- **اِسْتِدْرَاجُ اَلْخَصْمِ إِلَى اَلْإِذْعَانِ وَالتَّسْلِيمِ**، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: 65)، وَالْخِطَابُ مِنْ اَللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَهْدِيد لِغَيْرِهِ؛ لِأَنَّ اَللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَصَمَهُ مِنْ اَلشِّرْكِ وَمُدَاهَنَةِ اَلْكُفَّارِ (النيسابوري، 1415هـ، ينظر: 2/ 592).

3- **اَلذَّمّ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ**، وَمِنْ اَلشَّوَاهِدِ اَلْقُرْآنِيَّةِ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (الرعد:

19)، وَالذَّمُّ فِي قَوْلِهِ جَاءَ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ مُوَجّه لِلْكُفَّارِ اَلَّذِينَ مَاتَتْ قُلُوبُهُمْ وَابْتَعَدُوا عَنْ اَلْحَقِّ، وَهَذَا مَــا أَكَّدَهُ اَلْبَلَاغِيُّونَ، وَمِنْهُمْ اَلْجُرْجَانِي (ت 471هـ) بقوله: «أنْ يَعلَم الســامعون ظاهرَ معناه، ولكنْ أن يذمَّ الكفَّار وأن يُقالَ إنهم مِنْ فرط العِنادِ ومِنْ غلبةِ الهوى عليهم، في حُكْم مَنْ ليس بذي عقْلٍ، وإنكم إنْ طمِعْتُــم منهم في أنْ يَنْظروا ويَتذكَّروا، كنتُم كمَــنْ طمِعَ في ذلك مِنْ غير (أُولي الألباب)» (الجرجاني، 1991: 398)، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ (النازعات: 45)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ (فاطر: 18)، وَالْآيَتَــانِ يُعَرِّضَانِ لِذَمٍّ وَتَوْبِيخِ اَلْكُفَّــارِ، وَكَأَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ أُذُنٌ تَسْمَعُ وَقَلْب يَعْقِلُ وَالْإِنْذَارَ مَعَهُمْ كلا إِنْذَار (الجرجاني، 1991، ينظر: 298).

4- **اَلْإِهَانَة وَالتَّوْبِيخ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ**، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: 8-9)، فِي اَلنَّصِّ اَلْقُــرْآنِيِّ تَعْرِيضٌ لأمرٍ مُضْمَرٍ يَتَعَرَّفُ عَلَيْهِ اَلْمُتَلَقِّي بِوَسَاطَةِ اَلسِّيَاقِ، وَهُوَ اَلْإِهَانَةُ وَالتَّوْبِيخُ، وَالسُّؤَالُ فِي قَوْلِهِ تَعَــالَى لَيْسَ اَلْمُرَادُ مِنْهُ اَلْمَعْنَى اَلظَّاهِرُ بِلَفْظِهِ، وَإِنَّمَا اَلتَّوْبِيخُ وَالْإِهَانَةُ؛ لِأَنَّهَا قُتِلَتْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ (النيســابوري، 1415هـ، ينظر: 4/ 429)، وَمُثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ (الأنبياء: 62-63)، وَهَذَا مِــنْ رُمُوزِ اَلْكَلَامِ، وَقَصدَ اَلنَّبِــيّ إِبْرَاهِيم - عَلَيْهِ اَلسَّــلَامُ - لَمْ يرِدْ بِهِ نِسْــبَةَ اَلْفِعْلِ إِلَى اَلصَّنَمِ، وَإِنَّمَا قَصَدَ تَقْدِيره لِنَفْسِهِ، وَإِثْبَاته عَلَى أُسْــلُوبِ تَعْرِيضٍ يُبْلغُ فِيهِ غَرَضَهُ مِنْ إِلْزَامِ اَلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهُمْ وَبَيَانِ عَجْزِهِمْ (ابن الأثير1420هـ، ينظر: 3/ 72).

وَمِــنْ هَذِهِ اَلْأَغْرَاضِ اَلَّتِــي يُحَقِّقُهَا اَلتَّعْرِيضُ يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّــهُ أَلْطَفُ وَأَهذبُ مِنْ اَلتَّصْرِيحِ؛ لِأَنَّهُ يُخْفِي غَرَضَ اَلْمُتَكَلِّمِ مِنْ مَدْحٍ، وَذَمٍّ، وَتَوْبِيخٍ، وَلَا يفْهَمُ قَصْد اَلْمُخَاطَبِ

إِلَّا اَلْمَقْصُود مِنْ اَلْخِطَابِ؛ لِأَنَّ دَلَالَةَ اَلتَّعْرِيضِ تَتَّضِحُ بِوَسَاطَةِ اَلسِّيَاقِ وَقَرَائِنِ أُخْرَى يَعْرِفُهَا اَلْمَقْصُودُ بِالْخِطَابِ دُونَ غَيْرِهِ وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ اَلْبَاحِثُونَ: «وَوَجْهُ حُسْنِهِ ظَاهِرٌ؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ إِعْلَام السَّامِعِ عَلَى صُورَةٍ لَا تَقْتَضِي مُوَاجَهَتَهُ بِالْخِطَابِ الْمُنْكَرِ كَأَنَّكَ لَمْ تَعْنِهِ وَهُوَ أَعْلَى فِي مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَأَقْرَبُ لِلْقَبُولِ وَأَدْعَى لِلتَّوَاضُعِ وَالْكَلَامُ مِمَّنْ هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَزَّلَهُ بِلُغَتِهِمْ وَتَعْلِيمًا لِلَّذِينِ يَعْقِلُونَ» (الزركشي، 1957: 2/ 313)، وَالتَّعْرِيضُ أُسْلُوبٌ بَيَانِيٌّ يُهَذِّبُ اَلْخِطَابَ وَيَرْفَعُ اَلْحَرَجَ عَنْ اَلْمُتَلَقِّي وَيَسْتَعْمِلُ اَلْأَسَالِيبَ وَالْأَلْفَاظَ اَلْمُؤَدَّبَةَ اَلَّتِي لَا تَجْرَحُ اَلْمُتَلَقِّيَ وَلَا تَخْدِشُ مَشَاعِرَهُ، وَهَذَا مَا أَكَّدَتْ عَلَيْهِ مَبَادِئُ اَلتَّدَاوُلِيَّةِ.

قاعدة اَلتَّأَدُّبِ اَلْإِيجَابِيّ:

وَهي من القواعد التي وضعها الباحثان (بِرَاوْنْ وِلِيفِنْسُنْ) التي يَسْعَى اَلْمُخَاطِبُ فيها إِلَى اِسْتِعْمَالِ اَلتَّلَطُّفِ بِالتَّعْبِيرِ، وَالْأَلْفَاظِ اَلْوِدِّيَّةِ اَلْمُهَذَّبَةِ؛ بُغْيَةَ رَفْعِ اَلْحَرَجِ عَنْ اَلْمُتَلَقِي وَحِفْظِ مَاءِ وَجْهِهِ (ختام، 2016، ينظر: 112)، وَهَذَا مَا أَكَّدَ عَلَيْهِ اَلْقُرْآنُ اَلْكَرِيمُ فِي كُلِّ نُصُوصِهِ اَلْمُقَدَّسَةِ وَهُوَ يَسْتَعْمِلُ اَلْأَلْفَاظَ اَلْحَسَنَةَ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ اَلْعَلَاقَاتِ اَلِاجْتِمَاعِيَّةِ لَا سِيَّمَا اَلْعَلَاقَةُ اَلزَّوْجِيَّةُ وَأَهَمُّ تَفَاصِيلِهَا فَقَدْ رَاعَى أَحْوَالَ اَلْمُخَاطِبِينَ، بِاسْتِعْمَالِ اَلْأَسَالِيبِ اَلْبَلَاغِيَّةِ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف: 189)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى كِنَايَة عَنْ اَلْجِمَاعِ بِأَلْفَاظِهِ اَلْمُبَاشِرَةِ إِلَى أَلْفَاظٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ تَرْفَعُ اَلْحَرَجَ عَنْ اَلْمُتَلَقِّي بِاسْتِعْمَالِ اَلْأَلْفَاظِ اَلْوِدِّيَّةِ فِي قَوْلِهِ «فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَّلَتْ» وَتُشِيرُ هَذِهِ اَلْكِنَايَةِ إِلَى اَلستر وَالتَّغْطِيَةِ وَإِلَى اَلرَّحْمَةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ بَيْنَ اَلزَّوْجَيْنِ (الزمخشري، 1407هـ، ينظر: 2/ 186).

وقوله تعالى: ﴿يَاَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً﴾ (النساء: 43)، في قوله تعالى كناية عن الجماع بقوله «لامَسْتُمْ النِّسَاءَ» (الزمخشري، 1407هـ، ينظر: 3/ 10).

ومثله قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 187)، فقد كنى الله سبحانه وتعالى عن الجماع بالمباشرة (النيسابوري، 1415هـ، ينظر: 1/ 286).

وَمِنْ هَذِهِ اَلشَّوَاهِدِ اَلْقُرْآنِيَّةِ اَلَّتِي كَنَّى اَللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَنْ اَلْعَلَاقَةِ اَلْجِنْسِيَّةِ بَيْنَ اَلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ يظْهرُ لَنَا لَطِيف اَلِاسْتِعْمَالِ اَلْقُرْآنِيِّ بِأَلْفَاظه اَلرَّشِيقَة اَلَّتِي تُشِيرُ إِلَى اَلْغَرَضِ اَلْمَطْلُوبِ وَتَحفظُ اَللُّطْف فِي اَلتَّعْبِيرِ، وَتَبْتَعِدُ عَنْ كَرَاهَةِ اَلْأَدَاءِ اَلْمُبَاشِرِ لِهَذِهِ اَلْعَلَاقَةِ، وَهَذَا مَا جاء في مَبَادِئ اَلْخِطَابِ عند اللسانيين

قَاعِدَةُ اَلِاسْتِحْسَانِ:

تَقْتَضِي هَذِهِ اَلْقَاعِدَةُ أَنْ يُقَلِّلَ اَلْمُخَاطِبُ مِنْ اِمْتِعَاضِ اَلْمُخَاطَبِ، وَيَسْعَى لِرِضَاه وَهَذَا مَا أَكَّدَ عَلَيْهِ اَلْقُرْآنُ اَلْكَرِيمُ لَا سِيَّمَا فِي عَلَاقَةِ اَلْإِنْسَانِ بِوَالِدَيْهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ (الإسراء: 23-24)، فِي هَذِهِ اَلْآيَةِ اَلْكَرِيمَةِ أَمَرَنَا اَللهُ -

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِبَرِّ اَلْوَالِدَيْنِ وَالْإِحْسَـــانِ إِلَيْهِمَا، وَجَاءَ هَذَا اَلْأَمْرِ مَقْرُونًا بِتَوْحِيدِهِ فِي مَوَاضِعِ عِدَّةٍ مِنْ اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَـيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النســاء: 36)، وقولِهِ تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الأنعام: 151)، وَلَكِنْ مَا تَنْمَازُ بِهِ اَلْآيَةُ اَلْكَرِيمَةُ مَوْضِعِ اَلشَّـــاهِدِ هُوَ أَنَّ اَللَّهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – فِي خِطَابِهِ لَنَا أَكَّدَ عَلَى مَبَادِئِ اَلْخِطَابِ لَا سِيَّمَا اَلِاسْتِحْسَانُ وَجَاءَتْ اَلْآيَةُ مُتَرَابِطَةً وَمَسْبُوكَةً وَيَنْتَقِلُ فِيهَا اَلْمُخَاطَبُ مِنْ قَاعِدَةٍ إِلَى أُخْرَى، وَهَذَا مَـا ذَكَرَهُ اَلْبَلَاغِيُّونَ تَحْتَ بَابِ حُسْـــنِ اَلتَّخَلُّصِ، فَالْقَاعِدَةُ اَلْأُولَى اَلَّتِي أَكَّدَتْهَا اَلْآيَةُ اَلْكَرِيمَةُ هِيَ اَلْإِحْسَـــانُ اَلَّتِي تَظْهَرُ جَلِيَّةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً».

وَالْقَاعِـــدَةُ اَلثَّانِيَةُ اَلنَّهْيَ عَنْ اَلتَّأْفِيفِ فِي قَوْلِهِ «فَـــلَا تَقُل لَهُمَا أُفٍ»؛ أَي مَنْع إِظْهَارِ اَلضَّجَـــرِ، وَيُرْدِفُهَا بِقَاعِـــدَةٍ ثَالِثَةٍ هِيَ اَلنَّهْي عَـــنْ اَلْانْتِهَارِ فِي قَوْلِـــهِ «وَلَا تَنْهَرهُمَا»، وَالْقَاعِـــدَةُ اَلرَّابِعَةُ: اَلْقَوْلُ اَلْكَرِيمُ فِي قَوْلِهِ «وَقَلَّ لَهُمَا قَـــوْلاً كَرِيمًا»، وَاَللَّهُ تَعَالَى لَمَّا مَنَعَ اَلْإِنْسَـــانَ عَنْ اَلتَّعَامُلِ اَلْمُؤْذِي اَلْمُوحِشِ مَعَ وَالِدَيْهِ وَنَهَاهُ عَنْـــهُ، هَذَا يُعَدُّ أَمْرًا مُضْمَرًا بِالْقَـــوْلِ اَلطَّيِّبِ، وَلَكِنَّ اَللَّهَ تَعَـــالَى أَرْدَفَهُ بِأَمْرٍ صَرِيحٍ بِالْقَـــوْلِ اَلطَّيِّبِ؛ أَيْ أَنْ يَكُونَ خِطَابُهُ بِالتَّعْظِيمِ وَالِاحْتِرَامِ، وَأَجْمَلُ مَا تَنْمَازُ بِهِ هَذِهِ اَلْآيَةِ مَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ أَسَالِيبَ بَيَانِيَّةٍ لَا سِيَّمَا اَلِاسْـــتِعَارَةُ وَالْكِنَايَةُ فِي قَوْلِهِ «وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ اَلذُّلِّ مِنْ اَلرَّحْمَةِ» فَالْكِنَايَة تظْهر بَخْفَض اَلْجناح؛ لِأَنَّ خَفْضَ اَلْجَنَاحِ عِنْدَ اَلطَّائِرِ كِنَايَةً عَنْ حُسْـــنِ اَلتَّرْبِيَةِ، وَقَدْ يَكُونُ خَفْضُ اَلْجَنَاحِ كِنَايَةً عَنْ اَلِاسْتِحْسَـــانِ وَالتَّوَاضُعِ، وَكَذَلِكَ يُشِيرُ إِلَى اَلْمُبَالَغَةِ فِي اَلتَّذَلُّلِ وَالرَّحْمَةِ؛ لِأَنَّ اَلطَّائِرَ عِنْدَمَا يَتْرُكُ اَلِارْتِفَاعُ يَضُمُّ جَنَاحهُ، وَالِاسْتِعَارَةُ تَظْهَرُ فِي تَشْبِيهِ اَلذُّلِّ بِالطَّائِرِ(الرازي، 1981، ينظر: 20/ 326)، (النيسابوري، 1415هـ، ينظر: 2/ 498)، (الطريفي، 1438، 4/ 1686).

وَهَذِهِ اَلْقَوَاعِدُ اَلَّتِي جَاءَتْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى تُعْدُ تَطْبِيقًا عَمَلِيًّا لِمَا جَاءَتْ بِهِ اَلنَّظَرِيَّاتُ اَلتَّدَاوُلِيَّةُ لَاسِيَّمَا مَبَادِئُ اَلْخِطَابِ اَلَّتِي تُؤَكِّدُ عَلَى اَلِاسْتِحْسَانِ وَالتَّعَامُلِ اَلْحَسَنِ، وَبِذَلِكَ أَصْبَحَ بِرُّ اَلْوَالدين صِفَةً وَقَاعِدَةً أَخْلَاقِيَّةً ثَبَّتَهَا اَلْقُرْآنُ وَجَعَلَهَا فِطْرَةً فِيهِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شِيَمِ اَلْأَخْلَاقِ؛ لِأَنَّهَا مَجْبُولَةٌ عَلَى رَدِّ اَلْإِحْسَانِ وَالْمَعْرُوفِ إِلَى مِنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَأَعْظَمُ مُحْسِنٍ بَعْدَ اَلْخَالِقِ هُمَا اَلْوَالِدَانِ.

قاعدة التواضع:

هِيَ مِنْ قَوَاعِد مَبْدَأِ اَلتَّأَدُّبِ اَلْأَقْصَى، اَلَّتِي تُقَارِبُ مَا جَاءَ فِي اَلْكِنَايَةِ اَلْقُرْآنِيَّةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: 88)، فِي خِطَابِ اَللهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِلرَّسُولِ أَمْر بِالتَّوَاضُعِ وَصوَّرَ هَذَا اَلْأَمْرِ بِأَجْمَلِ اَلصُّوَرِ اَلْكِنَائِيَّة وَهِيَ خَفْض جَنَاحِ اَلطَّائِرِ لِلْكِنَايَةِ عَنْ اَلتَّوَاضُعِ وَلِين اَلْجَانِبِ مَعَ عَشِيرَتِهِ وَقَوْمِهِ؛ لِأَنَّ خَفْضَ جَنَاحِ اَلطَّائِرِ يُعد كِنَايَةً عَنْ اَلتَّوَاضُعِ وَلِينْ اَلْجَانِبِ وَهَذِهِ مِنْ اَلْكِنَايَات اَلْأَخْلَاقِيَّةِ اَلَّتِي أَكَّدَ عَلَيْهَا اَلْقُرْآنُ اَلْكَرِيمُ فِي مَوَاضِعِ عِدَّةٍ، ومنها: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: 214–215)؛ أي كن متواضعا مع المؤمنين (الزمخشري، 1407هـ، ينظر: 3/ 340).

وقوله تعالى ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (الإسراء: 37–38)، فِي هَذِهِ اَلْآيَةِ اَلْكَرِيمَةِ يَنْهَى اَللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – خلقَهُ عَنْ اَلتَّكَبُّرِ وَالِابْتِعَادِ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ صِفَةٌ مَذْمُومَةٌ، وَهِيَ تَطَابُقُ صِفَة اَلتَّوَاضُعِ هَذِهِ اَلصِّفَةِ اَلْحَسَنَةِ اَلَّتِي أَمَرَنَا اَللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِهَا بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ فِي هَذَا اَلْخِطَابِ اَلْكَنَائِي، فَالنَّهْيُ عَنْ اَلتَّكَبُّرِ يُشِيرُ إِلَى اَلْأَمْرِ بِالتَّوَاضُعِ، وَهُوَ مِنْ أَهَمِّ مَبَادِئِ اَلْخِطَابِ

اَلْقُرْآنِيِّ وَالْمُـرَادِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى «وَلَا تُصَعِّرْ خَـدَّكَ»؛ أَيْ لَا تَعرض بِوَجْهِكَ وَتَتَكَبَّر وَتَسْـتَحْقِر مِن تَتَكَلَّمُ معه، وَالصَّعَر أَصْلُهُ دَاءٌ يُصِيبُ اَلْإِبِـلَ فِي أَعْنَاقِهَا، وَالتَّصَعِير يُشِيرُ إِلَى إِمَالَةِ اَلْوَجْهِ عَنْ اَلنَّاسِ لِغَرَضِ اَلتَّكَبُّرِ عَلَيْهِمْ، وَيَنْهَى اَللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – اَلْإِنْسَانُ عَنْ اَلتَّبَخْتُرِ وَالتَّكَبُّرِ بِقَوْلِهِ «وَلَا تَمْشِ فِي الأرض مَرَحًا»، ثُمَّ يَأْمُرُهُ إِلَى اَلْقَصْدِ فِي اَلْمَشْيِ (الزمخشري، 1407هـ، ينظر: 3/ 497).

قَاعِدَةُ اَلسَّخَاءِ:

يُعَدّ اَلسَّخَاءُ مِنْ اَلْقَوَاعِد اَلَّتِي ذَكَرَهَا اَلتَّدَاوليون فِي مَبَادِئِ اَلْخِطَابِ وَهُوَ أَنَّ يُقَلِّل اَلْمُتَكَلِّمُ فِيهَا مِنْ اَلْفَائِدَةِ اَلشَّـخْصِيَّةِ لِلْحَدِّ اَلْأَدْنَى، وَالسَّـخَاءُ مِنْ اَلصِّفَاتِ اَلْحَمِيدَةِ اَلَّتِي أَكَّدَ عَلَيْهَا اَلْقُـرْآنُ اَلْكَرِيم بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ، وَغَيْر مُبَاشِرَةٍ بِالتَّعْبِيرِ عَنْهَا بِكِنَايَاتٍ قُرْآنِيَّةٍ بَلِيغَةٍ مَثَّلَتْ هَذِهِ اَلصِّفَةِ تَمْثِيلاً رائعاً، وَالسَّخَاءُ يُشِيرُ إِلَى اَلْجُودِ، وَالْكَرَمُ، وَكَثْرَةُ اَلْعَطَاءِ، وَالِابْتِعَادُ عَنْ اَلْبُخْلِ، وَمِنْهُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ الْفَاسِقُونَ﴾ (التوبة: 67)، في قوله «وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ» كناية عن الابتعاد مِنْ السـخاء وقلة العطاء، وكُلِّ خَيْرٍ مِنْ زَكَاةٍ، وَصَدَقَةٍ، وَإِنْفَاقٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وتَرْك الْإِنْفَاقِ فِي الْجِهَادِ، وهذه الصفة نسبها الله سبحانه وتعالى إلى المنافقين، والكناية نوعها كناية عن صفة البخل، وكذلك تحمل معنى مضمر هو الأمر بصفة السـخاء وكثرة العطاء (الرازي، 1981، ينظر: 16/ 97).

ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون: 6–7)، ذَكَرَ اَللَّهُ – سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَى – مَنَعَ اَلنَّفَقَة عَنْ أَهْلِهَا وَهِيَ صِفَة مَكْرُوهَة؛ لِذَلِكَ نَسَبَهَا اَللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – لِلْغَافِلِينَ عَنْ صِلَاتِهِمْ اَلسَّاهِينَ عَنْهَا؛ وَتُعَبِّرُ هَذِهِ اَلْكِنَايَةِ عَنْ قِلَّةِ اَلْعَطَاءِ فِي اَلْخَيْرِ كُلِّهِ، وَبِذَلِكَ تَكُونُ هَذِهِ اَلْكِنَايَةِ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ اَلْبُخْلِ وَعَدَمِ اَلسَّـخَاءِ،

فَعِنْدَمَا يَنْهَانَا اَللهُ عَنْ صِفَةٍ مَذْمُومَةٍ يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّهُ أَمْرٌ لِلصِّفَةِ اَلْحَمِيدَةِ اَلَّتِي تُقَابِلُهَا (الطريفي، 1438، ينظر: 4/ 2216)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ (الإسراء: 92)، يَأْمُرُنَا اَللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِالِابْتِعَادِ عَنْ اَلْبُخْلِ وَقِلَّةِ اَلْعَطَاءِ وَجَاءَ هَذَا اَلْأَمْرِ بِأُسْلُوبِ اَلْكِنَايَةِ؛ لِيُعَبِّرَ عَنْهُ بِأَجْمَلِ صُورَةٍ فَقَدْ ذَكَرَ «اَلْيَدَ لِلْإِشَارَةِ إِلَى اَلْعَطَاءِ»؛ لِأَنَّ اَلْعَطَاءَ يَتَحَقَّقُ بِالْيَدِ، وَهُنَا اَلْأَمْرُ لِلسَّخَاءِ كَبَقِيَّةِ اَلْآيَاتِ مَحَلَّ اَلشَّاهِدِ لَمْ يَأْتِ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ وَهِيَ اَلنَّهْيُ عَنْ قِلَّةِ اَلْعَطَاءِ يَعْنِي اَلْأَمْرُ بِالصِّفَةِ اَلْمُقَابَلَةِ لَهَا وَهِيَ اَلسَّخَاءُ (الطبري، 1442هـ، ينظر: 10/ 451).

الخاتمة

الحَمْد للهِ اَلَّذِي بِفَضْلِهِ تَتِمّ اَلصَّالِحَاتُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا اَلْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَبُعْدَ اَلْمُقَارَبَةِ بَيْنَ اَلدَّرْسِ اَللِّسَانِيِّ اَلْحَدِيثِ لَا سِيَّمَا مَبْدَأُ اَلتَّأَدُّبِ وَقَوَاعِده اَلْأَسَاسِيَّة، وَبَيْنَ اَلْكِنَايَةِ اَلْقُرْآنِيَّةِ فَقَدْ تَوَصَّلَ اَلْبَحْثُ إِلَى:

أَنَّ مَبَادِئَ اَلْخِطَابِ فِي اَلدَّرْسِ اَلتَّدَاوُلِيِّ لَا سِيَّمَا مَبْدَأُ اَلتَّأَدُّبِ تَسْعَى لِنَفْسِ اَلْغَرَضِ اَلَّذِي سَعَتْ إِلَيْهِ اَلْأَسَالِيبُ اَلْبَلَاغِيَّةُ وَمِنْهَا اَلْكِنَايَةُ اَلْقُرْآنِيَّةُ، فَالْعَلَاقَةُ وَاضِحَةٌ بَيْنَ اَلْعلميْنِ، وَكِلَاهُمَا يَسْعَى إِلَى تَهْذِيبِ اَلْخِطَابِ وَاخْتِيَارِ اَلْأَلْفَاظِ اَلْحَسَنَةِ، وَهَذَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ اَلْكِنَايَةَ تُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ اِسْتِرَاتِيجِيَّاتِ اَلْخِطَابِ اَلْقُرْآنِيِّ لَا تقلُّ أَهَمِّيَّتُهَا عَنْ مَبْدَأِ اَلتَّأَدُّبِ فِي اَلدِّرَاسَاتِ اَللِّسَانِيَّةِ، وَأَثْبَتَ اَلْبَحْثُ أَنَّ اَلْكِنَايَةَ اَلْقُرْآنِيَّةَ تَتَضَمَّنُ مَجْمُوعَة قَوَاعِدَ تَتَّضِحُ فِي اَلنُّصُوصِ اَلْقُرْآنِيَّةِ مِنْهَا قَاعِدَةَ اَلتَّلْمِيحِ اَلَّتِي تَجَلَّتْ فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ اَلْكِنَايَةِ وَهُوَ اَلتَّعْرِيض اَلَّذِي يُحَقِّقُ مَجْمُوعَةَ أَغْرَاضٍ تَشْتَرِكُ مَعَ مَبَادِئِ اَلْخِطَابِ فِي اَلدَّرْسِ اَلتَّدَاوُلِيِّ مِنْهَا اَلذَّمّ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ، وَالتَّلَطُّف وَالِابْتِعَاد عَنْ اَلْمُخَاشَنَةِ، وَالْإِهَانَة وَالتَّوْبِيخ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ، وَالْقَاعِدَة اَلثَّانِيَة اَلَّتِي أَثْبَتَهَا اَلْبَحْث قَاعِدَةَ اَلِاسْتِحْسَانِ

وَهِـــيَ مِنْ أَهَمِّ اَلْقَوَاعِدِ اَلَّتِي أَكَّدَ عَلَيْهَا اَلْقُرْآنُ اَلْكَرِيمُ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ بِوَسَـــاطَةِ اَلْأَسَـــالِيبِ اَلْبَلَاغِيَّةِ وَخَاصَّةً اَلْكِنَايَةَ اَلْقُرْآنِيَّةَ، وَقَاعِدَة اَلسَّخَاء اَلَّتِي تظْهِرُ بِالنَّهْي عَنْ قِلَّةِ اَلْعَطَاءِ، وَقبض اَلْيَد، وَقَاعِـــدَة اَلتَّوَاضُع، وَقَاعِدَة اَلتَّأَدُّب وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ اَلْقَوَاعِدِ اَلَّتِي أَكَّدَ عَلَيْهَا اَلْقُرْآنُ اَلْكَرِيمُ بِاسْتِعْمَالِهِ لِأُسْـــلُوبِ اَلْكِنَايَةِ وَاخْتِيَارِ اَلْأَلْفَاظِ اَلْمُهَذَّبَةِ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ اَلْمَعَانِي اَلَّتِي تسبَّب اَلْحَرَج لِلْمُتَلَقِّي، وَبِذَلِكَ يَكُونُ اَلْبُعْدُ اَلتَّدَاوُلِيُّ حَاضِرًا فِي اَلْخِطَابِ اَلْقُرْآنِيِّ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ مَظَاهِرُ اَلتَّأَدُّبِ فِي اَلْكِنَايَةِ اَلْقُرْآنِيَّةِ عن اَلتَّدَاوُلِيَّةِ، وَخِتَامًا عَرض اَلْبَحْث أَهَمَّ اَلْأَسَـــالِيبِ اَلْبَلَاغِيَّةِ بِلُغَةٍ لِسَـــانِيَّةٍ يُمْكِنُ بِوَسَاطَتِهَا بَيَانَ اَلْقِيمَة اَلْمَعْرِفِيَّة لِمَا ذَكَرَهُ عُلَمَاءُ اَلْبَلَاغَةِ فِي اَلتُّرَاثِ اَللُّغَوِيِّ اَلْعَرَبِيِّ.

روافد البحث:

- القرآن الكريم
- ابــن الأثير، نصر الله بــن محمد بن عبد الكريم (ت637هـ). المثل الســائر في أدب الكاتب والشــاعر. تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420ه.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: دار الكتاب الإسلامي –القاهرة.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت 429هـ). رسائل الثعالبي (د.ط) (د.ت).
- الجرجــاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت471هـ). دلائل الإعجاز، تح: أبو فهر محمود محمد شــاكر، مطبعة المدني، دار المدني بجــدة، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط3، 1991.
- ختام، جواد.التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2016.
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين. مفاتيح الغيب. دار الفكر، 1981.
- الزركــشي، بَدْر الدّينِ محَمد بْن عَبْدِ اللهَّ بْن بهــادر (ت: 794هـ). البرهان في علوم القرآن: تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحيَاء الكتب العربية عيســى البابي الحلبي، ط1، 1376 هـ – 1957م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت538هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي –بيروت، ط3–1407ه.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن علي السكاكي،(ت626هـ). مفتاح العلوم، وضع حواشيه وفهارسه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط1407،2هـ–1987م.
- الشــهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان، ط1، 2004م.
- الطبري، محمد بن جرير(ت310هـ)، جامــع البيان عن تأويل أي القرآن: تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1422هـ.
- الطريفي، عبد العزيز مرزوق. التفسير والبيان لأحكام القرآن. مكتبة دار المنهاج الرياض– السعودية، ط1، 1438ه.

- عبد الرحمن، طه. اللســـان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط1، 1998.

- عبيـــد، مؤيد. الخطاب القرآني دراســـة في البعـــد التداولي، (أطروحة دكتـــوراه)، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، 2009م.

- العسكري، أبوهلال بن عبدالله (ت 395هـ). الصناعتين، تح علي محمد أبو الفضل، المكتبة العنصرية بيروت، (د.ط) (د.ت).

- عياشي، منذر. اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء، الحضاري، سوريا، ط2، 2007م.

- القزويني، محمد بن عبد الرحمن جلال الدين (ت 793هـ). الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل –بيروت، ط3.

- كادة، ليـــلى. المكون التـــداولي في النظرية اللســـانية العربية لظاهرة الاســـتلزام التخاطبي انموذجاً: (أطروحة دكتوراه)، قســـم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنه الجزائر، 2012.

- مجموعة باحثين. التداوليات علم اســـتعمال اللغة، تقديم د. حافظ إســـماعيل علوي، عالم الكتب الحديثة، اربد – الأردن، ط1، 2011م.

- مزيد، بهاء الدين محمد. تبســـيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، دار شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010.

- المســـدي، عبد الســـلام. التفكير اللســـاني في الحضارة العربية: عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط2، 1986م.

- نحلة، محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2011م.

- النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت468هـ). الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط1، 1415هـ.

- النيسابوري، محمود بن أبي الحسن بن الحسين، (ت 550هـ). إيجاز البيان عن معاني القرآن: تح: حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1415هـ.

- يول، جورج. التداولية. ترجمة، قصي العتابي، دار الأمان الرباط، ط1، 2010.